(واهًا لريح الجنة)

١٠ شعبان ١٤٣٣هـ || ٣٠ يونيو ٢٠١٢م

الحمد لله الذي جعل الجهاد أفضل وسيلة إليه وقربةٍ فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة:٣٥]. وجعل الجهادَ علامة أحبابه فقال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...} [المائدة:٥٤]. وأكّد محبته للذين يقاتلون في سبيله فقال: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} [الصف:٤]. والصلاة والسلام على من أجاب سائله أيُّ الناس أفضلُ قائلاً: "مؤمنٌ يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله". ولما قالوا له: يا رسول الله ما يُضحِكُ الربَّ من عبدِهِ؟ قال: "غمسُهُ يدَه في العدوِّ حاسراً". والذي تمنى فقال: "والذي نفسُ محمدٍ بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأُقتل ثم أغزو فأُقتل ثم أغزو فأُقتل"، وعلى آله وصحبه الذين أنشدوا ورددوا:

نحنُ الذين بايعوا محمداً *** على الجهاد ما بقينا أبداً

أما بعد:

إلى فوارس الدولة في ديالى أرضِ البطولة، القابضينَ على الجمر، الذائقينَ حلاوةَ النصر:

يا جُند دولتنا السلامُ عليكمُ *** وتحيةٌ منا تُزفُّ إليكمُ
إخواننا ما أجمل الدنيا بكم *** لا تقبح الدنيا وفيها أنتمُ

لقد كُنتم وما زلتم مادةَ الدولة ومعقلاً من معاقلها، وحربةً في صدرِ الرافضةِ ومَقتلاً من مقاتلها، ولقد دوختم جيوش أمريكا وأعجزتموها، وأرسيتم قواعد الدولةِ وشيدتموها، فباركَ الله فيكم وفي جهودكم، وتقبل الله إيمانكم وجهادكم، امضوا إلى ربكم على يقين، ولا تغرنكم قلة السالكين، ولا تفتِرَنّ عزائمكم شُبَه المرجفين، ولا يفُتنَّ عضُدكم حسد الحاسدين، فما زال سوقُ الجهاد قائماً، وعرض ربنا تبارك وتعالى ماضياً دائماً، ولن ترخص سلعة الرحمن فيستامها المفلسون، ولن تبور تجارتهُ فينالها البطالون، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ

وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة:١١١]. فسلعةُ الله لا تشترى إلا بالدماء ولا تقومُ سوقها إلا على الجماجم والأشلاء، ولما اثَّاقل الخانعون إلى الأرض، وأعجزهم جبنهم عن نيلِ ذاك العرض، خاضوا معاركَ الانتخابات أذلةً مسالمين، واتهموا وطعنوا وشوهوا وشنّعوا على المجاهدين، ورُبَما يودُّ أحدهم لو يسلكُ طريق الجهاد، فقد علمَ الجبانُ أنه سبيل رب العباد.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا شأوهُ *** فالقومُ أعداءٌ له وخصومُ
كضرائرِ الحسناء قُلنَ لوجهها *** حسداً وبغياً إنه لدميمُ

فامضوا عباد الله في جهادكم، فإن الطَّاعمَ النائمَ في الجهاد أفضلُ من الصائم القائم في سواه، ومن حرس في سبيلِ الله لا تُبصر النارَ عيناه، وإن الجنةَ تحت ظلال السيوف، ورباطُ يومٍ خيرٌ من الدنيا وما فيها، وإن السيف محاءٌ للخطايا.

امضوا فقد قال ﷺ: "من رمى سهماً في سبيلِ الله كان له عدلُ رقبة"، وقال: "من رمى بسهمٍ فله أجرُه درجة"، فقال رَجُل: وما الدرجة؟ فقال: "أما إنها ليست بعتبة أمك، ما بين الدرجتين مئة عام"، وقال: "إن الله ليدخلُ بالسهم الواحد ثلاثة الجنة: صانعُهُ محتسباً والمُعينُ بهِ والرامي به في سبيل الله"، وقال: "لا يجتمع كافرٌ وقاتله في النار أبداً".

فامضوا، فمن اغبرَّت قدماهُ في سبيل الله حرمه الله على النار، ومن أنفقَ ديناراً كُتِب له بسبعمئةِ ألف دينار، وإن الرزق مقسوم، وإن الأجل محتوم، فما خائضُ المعركةِ ميتٌ إلا بها، ولا القصور المشيدة مانعةٌ ملائكة الموت عن ساكنها، فما أصابَ لم يكن ليخطئ، وما أخطأ لم يكن ليصيب.

إلا أنَّ الموتَ في الجهاد هو منتهى أرَبِ اللبيب، وإن الشهداءَ حقاً عند الله من الأحياء، وإن أرواحهم في جوفِ طيرٍ خضرٍ تتبوأ من الجنةِ حيثُ تشاء، وإن الشهيد يُغفر لهُ مع أول قطرةٍ ذنوبه وخطاياه، ويُشفَّعُ في سبعين من أهله ومن والاه، وإنه آمنٌ يومَ القيامةِ من الفزعِ الأكبر، ولا يجدُ كربَ الموت ولا هولَ المحشر، ولا يحسُّ ألم القتل إلا كمسّ القرصة، وكم للموت على الفراش من سكرةٍ وغصة، وإن الشهيد ليجدُ ريحَ الجنة وتتراءى له الحورُ إذا أُثخن، وقد قال أنسُ بن النضرِ يوم أُحد: (واهاً لريح الجنة، إنّي لأجدُ ريحها دونَ أُحد)، ثم انغمس في المشركين حتى قُتل.

ولما دنا المشركون يوم بدرٍ قال رسول الله ﷺ: "قوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض"، فقال عمير بن الحمام: بخٍ بخٍ، قال: "ما يحملك على قول بخٍ بخٍ؟" قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءةَ أن أكون من أهلها، قال: "فإنك من أهلها"، فأخرج تمراتٍ من قرَنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلة، فرمى بما كان معه من التمر وقاتل حتى قُتل.

فاصبروا على المكارهِ قليلاً، تفوزوا باللذائذِ طويلاً، ووطِّنوا أنفسكم على أمضى ألمٍ وأقصى أثر، وقاتلوا في سبيل الله من كفر، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠] فليسَ واللهِ إلا الصدقُ والصبر، فإنهما لا يُغلبان، وهما جُندانِ منصوران، لا تضرُّ معهما قلة، فجاهدوا وجاهدوا وجاهدوا، فإن الجهادَ ذروةُ سنامِ الإسلام، وبابٌ من أبواب دار السلام، يُذهبُ الله به الهم والغم، وأخرى تحبونها نصرٌ وفتحٌ ومغنم.

يا فوارس ديالى، إن الدولةَ مقبلةٌ إن شاء الله على حربٍ جديدة، وتسعيرِ حربٍ ضروس شديدة، وقد أبيتم إلا أن يكون لكم فيها السبق، فاحملوا اللواء بحقٍّ وصدق، واقدحوا لها الشرارة، وأذكوها بغارةٍ إثرَ غارة، أَقدِموا إقدام الأسد، ولاقوا عدوَّكم بجدٍ وحد، وإياكم والهُوينة، وحسبكم الله معيناً، واجعلوا مُهجكم وقودها فإن لها ما بعدها، فلئن كانت الفلوجة الشرارة التي ألهبت الجهاد وأذلَّتِ الأمريكان فستكون عندكم إن شاء الله الشرارة التي تحرق نارُها المرتدين، وشتّان بين الشرارتين شتّان، فهذه أشد، وأصعبُ وأَحدّ.

فاستعينوا بالله وحده، وتوكلوا عليه وحده، وأخلصوا لله نياتكم، فإنه لا عملَ بغير نية، واحتسبوا فإنه لا أجر بغير حُسبة، وأكثروا من الدعاء فإنه هديُ الأنبياء، وإياكم والعُجب فإنه لا يجتمعُ مع التوكل في قلب، واجتنبوا المعاصي، ولا تصطحبوا عاصيا، فمن ارتكبها سراً فليتُب، ومن كان مصراً أو مجاهراً فلا يُصحب، وأطيعوا أمراءَكم تُنصروا، وإياكم والاجتهاد فإنه من آفاتِ الجهاد، واحذروا كل الحذر من التنازع والاختلاف، وكونوا على قلب رجلٍ واحدٍ في التعاون والائتلاف، وأصلحوا ذات بينكم واحرصوا على سلامة صدوركم تجاه بعضكم، ولا تكثروا من الضحك فتذهب هيبتكم، وقللوا من المزاح فإن كثرته تُذهبُ المروءة وتُولد الضغائن وتُفسد الودَّ بينكم، ولا تغُلُّوا يسلم لكم جهادكم، واقبلوا عُذر من اعتذر إليكم، وتخلقوا بأحسنِ الأخلاق فإنكم لا تمثلون أنفسكم، واحذروا أن تُكادوا كما تكيدون، ولا تتكبروا على عدوكم فتحقروه، فإن من حقر عدوه تهاون بأمره، ومن تهاون بأمرِ عدوه قلَّ احتراسه، ومن قلَّ احتراسه سَهُل افتراسه، ولا تصُدنكم عن جهادكم كثرةُ عَددٍ ولا عُدد، فإن قوة الإيمان يتلاشى في جنبها كلُّ عَدد، فجموعهم المعسكرة مُكسَّرة،

وعزَماتُهُمُ المؤنثةُ مُصغَّرة، وإن كانت ذواتهم مذكرةٌ مكبرة، وقد وعدَ الله ناصره بالنصرِ والتثبيت، والعدوَّ بالتعس والتشتيت، ولا ترتدوا على أدباركم لضعفٍ من بعض أفرادكم، فإن المرء لو جاهد لله وحده لصدقَ وعده وأعز جنده، فلا تنكسرنَّ قلوبكم لقلة عدد، ولا تجبُنوا لضعفِ مدد، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده، منتظراً بالنصرِ وعده، فقد قال تعالى: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة:٢٤٩]. ولا تقدموا الشهادة على النصر، لا تقدموا الشهادة على النصر، فاللهَ اللهَ عباد الله، خلِّصوا أنفسكم وأعراضكم من أيدي الكفار، واغسلوا ملابس مروءتكم من العار، فابذلوا في سبيل الله النفس والمال، وثوروا، فما كذبنا؛ **فالآن الآن جاءَ القتال!**

فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، وطيبوا عن أنفسكم نفساً، وامشوا إلى الموتِ مشياً، فإن لكلِّ امرئٍ منكم ميتةٌ هو ميتٌ بها، وما من ميتةٍ والله بأفضل من الشهادة فاغتنموها، فوالله ما كلما أردتموها وجدتموها.

ودَّع رسول الله ﷺ الجيش، جيش مؤتة، وحضر الناس يودعون الأمراء، فبكى عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه-، فقالوا: ما يبكيك؟! فقال: (أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابةٌ بكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا} [مريم:٧١]، فلستُ أدري كيف لي بالصدر بعد الورود)، فقال المسلمون: صحبكم الله بالسلامة، ودفعَ عنكم، وردَّكُم إلينا صَالحين غانمين، فقال عبد الله بن رواحة: (لا والله؛

لكنّني أسألُ الرحمن مغفرةً *** وضربة ذات فرغ تقذف الزّبدا
أو طعنةً بيدي حران مجهزة *** بحربةٍ تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقالَ إذا مروا على جدثي *** يا أرشد الله من غازٍ وقد رشدا).

وتحرك الجيشُ الذي قوامه ثلاثة آلافٍ حتى نزلوا معانَ من أرضِ الشام، فجاءهم الخبرُ بأن هرقل نازلٌ بمآبَ من أرض البلقان في مئةِ ألفٍ من الروم، وانضم إليه مئةُ ألفٍ من قبائل العرب، فحار المسلمون وأقاموا في معان ليلتين يفكرون في أمرهم وينظرون ويتشاورون، فمنهم من قال نرجع، ومنهم من قال نمضي، ثم قالوا: نكتبُ لرسول الله ﷺ فنخبرهُ بعددِ عدوّنا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يأمرنا فنمضي لأمره، فقام عبد الله بن رواحة يحرضُ الناس فقال: (يا قوم، والله إن التي تكرهون لَلّتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدينِ الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين؛ إما ظهورٌ وإما شهادة)، فقال الناس: قد واللهِ صدقَ ابنُ رواحة.

وفي ذلك الموقف يقولُ ابن رواحة:

جلبنا الخيلَ من أجأٍ وفرعٍ *** تُغرُّ من الحشيش لها العكومُ
حذوناها من الصُّوان سبتاً *** أزلَّ كأنَّ صفحته أديمُ
أقامت ليلتين على معانٍ *** فأعقبَ بعد فترتها جمومُ
فَرُحنا والجياد مسوّماتٍ *** تنفس من مناخرها السَّمومُ
فلا وأبي مآبَ لنَأتيَنها *** وإن كانت بها عربٌ ورومُ
فعبَّأنا أعِنَّتَها فجاءت *** عوابِسَ والغبارُ لها بَرِيمُ
بِذي لَجَبٍ كأنّ البيضَ فيه *** إذا برزت قوانِسُها النجومُ
فراضيةُ المعيشةِ طلَّقَتْها *** أسنّتُنا فتَنكِحُ أو تَئِيمُ

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: (شهدتُ مؤتة، فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قِبَلَ لأحدٍ به من العدة والسلاح والكِراعِ والديباج والحرير والذهب، فبرَقَ بصري، فقال لي ثبت بن أرقم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة، قلت: نعم، قال: إنك لم تشهد بدراً معنا، إنَّا لم نُنصر بالكثرة)، ثم التقى الناسُ واقتتلوا، فقاتل زيدُ بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاطَ في رِماحِ القوم، ثم أخذها جعفر بن أبي طالبٍ –رضي الله– عنه فقاتل بها، حتى إذا ألحمَهُ القِتالُ اقتحم عن فرسٍ له شقراء، فعقرها ثم قاتل القوم حتى قُتِل وهو يقول:

يا حبّذا الجنةُ واقترابها *** طيبةٌ وبارداً شرابها
والرومُ رومٌ قد دنا عذابها *** كافرةٌ بعيدةٌ أنسابها
عليَّ إن لاقيتها ضرابُها

وروى ابنُ هشام أن جعفر بن أبي طالبٍ أخذ اللواءَ بيمينه فقُطعت، فأخذهُ بشماله فقُطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قُتل، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطيرُ بهما حيث شاء، فلما قُتل جعفر أخذَ عبدُ الله بن رواحةَ الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزلُ نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنّه *** مطاوعةً أو فلتكرهنّه
إن أجلبَ الناسُ وشدوا الرنّة *** مالي أراكِ تكرهين الجنة

قد طالَ ما قد كنت مطمئنة *** هل أنت إلا نطفة في شنّة

وقال أيضًا:

يا نفسُ إن لا تقتلي تموتي

هذا حِمامُ الموتِ قد صليتِ

وما تمنيتِ فقد أعطيتِ

إن تفعلي فعلهما هديتِ

وإن تأخرتِ فقد شقيتِ

ثم نزل، فلما نزل أتاه ابن عمٍ له بعظمٍ من لحمٍ فقال: (شُد بها صُلبكَ فقد لقيتك أيامك هذه ما لقيت)، فأخذهُ من يدهِ فانتهسَ منه نهسة، ثم سمِع الحطمة في ناحيةِ الناس فقال مخاطباً نفسه: (أنتِ في الدنيا)، ثم ألقاه بيده وأخذ سيفهُ فتقدم فقاتلَ حتى قُتل.

وإنا كذلك نقول، قد جاءكم ما قد تمنيتم، فإن تفعلوا فعلهم فقد هديتم، وإن تتأخروا فقد شقيتم، فقوموا إلى جنةٍ عرضها السماوات والأرض، وعليكم بتقوى اللهِ والجدِّ والحزمِ والصبر، وإنا والله لنعلم أنكم لعلى حق، وإن عدوكم لعلى باطل، فلا يغلب باطلهم حقكم

وإنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم، والله لا يقتلُ أحدٌ منكم أحداً منهم إلا أدخل الله القاتِلَ جنات عدن، وأدخل المقتول ناراً تلظى خالداً فيها أبداً، ولا يقتلون أحداً منكم إلا أدخله الله الجنة إن شاء الله.

وأخيراً، إن أمير المؤمنين –حفظه الله– يوصيكم بتقوى الله في خاصةِ أنفسكم وفي المسلمين، وكثرة ذكر الله، والالتجاء إليه، والانكسار له، والتذلل بين يديه، فإن ذلك يعينُ على الثباتِ عند لقاءِ العدوّ ويُذكركم بحديث النبي ﷺ: "لا يزال المرء في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً". فاحرصوا كلَّ الحرص على عدم إراقة قطرة دمٍ واحدةٍ لا تحل، فاسمعوا وأطيعوا.

اللهم أعنا ولا تخذلنا، وانصرنا على عدونا، وافتح بيننا وبينهم بالحق وأنت خير الفاتحين.

اللهم إن الروافض أشركوا بك، وآذوا نبيك ﷺ وصحابته الكرام.

اللهم إنهم نصبوا لنا الحربَ في إطفاءِ نورك.

اللهم فافضُض جمعهم، وشتِّت شملهم، وأبلِسهم بخطاياهم، فإنه لا يّذلُّ من واليت، ولا يعزُّ من عاديت.

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبهِ أجمعين.